

المرأة في القرآن الكريم

اختارها وعلق عليها وعنون لها

أبو عبد الرحمن سعد السيد الشال

الكتاب الأول

دار عباد الرحمن


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المرأة في القرآن الكريم

رقم الإيداع
٢٠١٠/١٤٠٠٥

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ/٢٠١١

المرأة في القرآن الكريم

الكتاب الأول

اختارها وعلق عليها وعنون لها
أبو عبد الرحمن سعد السيد الشال

دار عباد الرحمن


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسِّر وأعن إنك على كل شيء قدير

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة،

وكل ضلالة في النار.

أما بعد فهذا هو الكتاب الأول للمرأة المسلمة من سلسلة ثلاثة كتب تصدر تباعًا إن شاء الله تعالى:

الكتاب الأول: المرأة في القرآن الكريم.

والكتاب الثاني: أحاديث نبوية مختارة للمرأة المسلمة فيها ذكر النساء صراحة.

والكتاب الثالث: أحكام موجزة شاملة لكل ما يخص المرأة المسلمة.

وقد جاءت هذه الكتب الثلاثة شاملة لمواعظ ونصائح، وترغيب وترهيب، وفقه وأحكام؛ مما يبين صراحة وبكل فخر واعتزاز مكانة المرأة المسلمة في الإسلام وأنه صانها أحسن صيانة، وحَفِظَها بالِغَ الحفظ، واعتنى بها عناية لم توجد على سطح الأرض إلا في الإسلام الذي كرّمها وحفظ لها حقوقها وأرشدها إلى الأخذ بما فيه سعادتها في الدنيا والآخرة. فمن أرادت العفة والطهارة والرقي والحضارة فلتلزم الإسلام.

وليت شعري ماذا عند الملل النصرانية واليهودية والوثنية بالنسبة للمرأة؟!! إن من عنده أدنى بصيرة وأقل تمييز لَيدرك أن هذه الملل ـ واللهِ ـ ما عندها إلا ما يرضي الشيطان ويُسخط الرحمن: عُري وفجور، وكأس وخمور، واشتراك في الشهوات تعافه الحيوانات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف:١٧٩].

إن هؤلاء وأذنابهم من دعاة تحرير المرأة ـ زعموا ـ ما أرادوا إلا أن تتحلل المرأة المسلمة من أوامر ربها، وتعاليم دينها، وللأسف استجاب لهم كثير من النساء فصِرن يرفضن ما شرعه الله تعالى بدعوى التحرر والتقدم والتخلص من التأخر والرجعية، ولا شك أن هذه قضية خطيرة تستلزم النظر فيما جاء به الإسلام بالنسبة للمرأة، وتستلزم رد شبهات هؤلاء الكائدين المنافقين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٢٧]؛ فيا أخت الإسلام احذري هؤلاء أشد الحذر فإنهم ـ والله ـ يدعونك إلى النار ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

إن النساء في بلاد الكفر قد انفلتن في هذا الزمان، وابتعدن عن كل فضيلة، ووقعن في أنواع الرذائل التي يُستحيا من ذكرها ورؤيتها: من التهتك والعري من غير أن يكون لهن صادٌّ ولا راد، وللأسف قلّدهم المسلمون في ذلك غرورًا وانخداعًا، ولـيُعلم أن بدء انفلات النساء في البلاد الإسلامية كان تقليدًا للبلاد الغربية بترك الحجاب، وتبع ذلك كشف رؤوسهن، وصدورهن، وسواعدهن، وأعضادهن، وسوقهن وبعض أفخاذهن، وتبع ذلك مخالطتهن الرجال ومشاركتهن لهم في سائر الأعمال والتسوية بينهم وبينهن، ووقائع ذلك قد سجلّها التاريخ، وإنما يكفيكِ أن تعرفي كيف بدأ الشر وسببه من أجل أن تحذري.

ألا من كان له قلب فليتفطر اليوم أسفًا على الحياء، ومن كانت له عين فلتبك اليوم دمًا على الأخلاق، ومن كان له عقل فليفكر بعقله، فما بالفجور يكون العز والنصر، ولكن بالأخلاق تُحفظ الأمجاد والأوطان، ونحن إذا ظننا أن إطلاق الغرائز من قيد

الدين والخلق، والعورات من أسر الحجاب والستر، إذا ظننا أن ذلك من دواعي التقدم ولوازم الحضارة؛ فسوف نُصاب ونبتلي بما لا تُحمد عقباه، فإن سنن الله تعالى ماضية في الإهلاك عند الفساد والإفساد كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٨].

إن المرأة في الإسلام تنطلق في تصرفاتها وأفعالها وأقوالها مما جاء به دينها، ولا تنحرف عنه يَمنة ولا يَسرة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فتحتجب عن الأجانب ولا تخالط الرجال، ولا تسافر إلا مع محرم أو زوج، ولا تخرج سافرة أو متعطرة.

قال ابن القيم: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو أعظم أسباب نزول العقوبة العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، والموت العام والطواعين المتصلة». وقال: «فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمور ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية ـ قبل الدين ـ لكانوا أشد شيء منعًا لذلك»[1].

وهذا ـ والله ـ ليس كبتًا لحرية المرأة بل هو ـ والله ـ صيانة وحشمة وكسبٌ للفضائل وحماية من الرذائل، وهذا بخلاف المذاهب الردية والملل الكفرية التي تعطي المرأة الحرية المطلقة؛ فتذهب كيف شاءت، وتختلط بمن شاءت وتتصرف كيف

---

(١) الطرق الحكمية، لابن القيم (ص٢٨١).

شاءت دون حفيظ لها أو رقيب عليها.

هذا؛ ولقد اعترف كثير من الكفار العقلاء ـ والنقول في ذلك كثيرة ـ اعترفوا بتفكك الأخلاق وانحطاطها، وتصدُّع ركن العائلة في بلادهم، واعترفوا بأنهم سائرون إلى الدمار والخراب والهلاك حتى راحوا ينبهون شعوبهم بالكتب والنشرات؛ حتى لا يندفعوا إلى هذه الهوة الساحقة والبلية الماحقة.

وهذه كلمات مختصرة لبعضهم:

١. الكاتبة الشهيرة (أنرود) في جريدة «الاسترن ميل» ـ في العدد ١٠ مايو (آيار) سنة ١٩٠١م:

«لَأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل... ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين! فيها الحشمة والعفاف والطهارة... لا تُمس الأعراض بسوء... فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل على ما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت، وترك أعمال الرجال للرجال؛ سلامة لشرفها؟!»[١].

---

(١) كتاب «نداء للجنس اللطيف» لمحمد رشيد رضا (ص٦١).

٢. الكاتبة الشهيرة (اللادي كوك) في جريدة «ألايكو»:

«إن الاختلاط يألفه الرجال؛ ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، وهذا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علِقت منه يتركها وشأنها، تتقلب على مضجع الفاقة والعناء، وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد، بل الموت أيضًا... أما آن لنا أن نبحث عما يخفف ـ إذا لم نقل: عما يزيل ـ هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟!... علِّموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال... لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم يكن يتصورها الإمكان»[1].

(١) كتاب «نداء للجنس اللطيف» لمحمد رشيد رضا (ص٦٢).

٣. كاتبة أخرى في جريدة «لاغوص ويكلي ركورد» في العدد ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠١م:

«لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعمّ البلاء، وقلّ الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت امرأة أراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنًا، وماذا عسى يفيدهنّ بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وإن شاركني فيه الناس جميعًا؟! لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجس، ولله در العالم (تومس)! فإنه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء، وهو أن يباح للرجل التزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوربي على الاكتفاء بامرأة واحدة، فهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد... فإن مزاحمة المرأة للرجل ستُحِل بنا الدمار! ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل، وعليه ما ليس عليها؟ وبإباحة تعدد الزوجات تصبح

كل امرأة ربة بيت وأم أولاد شرعيين»[١].

٤. **غوستاف لوبون الفرنسي:**

«إن تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين خير من تعدد الزوجات الخبيث المؤدي إلى زيادة اللقطاء في أوربا»[٢].

٥. **ساموئيل سمايلس:**

«إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة مهما نشأ عنه من الثروة فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية... إذ وظيفة المرأة الحقيقة هي القيام بالواجبات المنزلية»[٣].

٦. **إيدالين الأمريكية:**

«إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها، وإشرافها على تربية أولادها؛ فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت

---

(١) كتاب «نداء للجنس اللطيف» لمحمد رشيد رضا (ص٦٠-٦١).

(٢) نفس المصدر (ص٦٦).

(٣) دائرة معارف القرن العشرين، لفريد وجدي (٨/ ٦٣٩).

بيتها وأهملت طفلها وتركته إلى من لا يحسن تربيته... وإن سبب الأزمات العائلية في أمريكا، وسر كثرة الجرائم في المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق»[١].

فهذه بعض شهادات أهل العقل والحصافة والإنصاف منهم منذ ما يقرب من مئة سنة، فماذا تكون شهاداتهم على الواقع الموجود الآن؟! ومع كل هذا فيأتي قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قد انبهروا بما عليه دول الكفر من تقدم مادي دنيوي، فأُعجبوا بما هم عليه من سلوكيات، تحرروا بها من قيود الفضيلة إلى قيود الرذيلة، فصاروا عبيدًا للنفس والشيطان وتركوا الحرية الحقيقة التي هي في عبادة الله وحده والعمل بشرعه.

ألا فاحذري يا أخت الإسلام هذه الدعاوى الهالكة المهلكة.

أَعَلِمْتِ يا أخت الإسلام كيف أنك مستهدفة للهلاك

---

(١) المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة، لعبد الله التليدي (ص١٤٦).

والإهلاك؟! أأيقنتِ أن الشياطين وأتباعهم يتخذونك وسيلة للفساد والإفساد؟! فإن سمعتِ لهؤلاء وأطعتِ؛ فالمسؤولية عليك كبيرة، واحذري النار التي قال النبي ﷺ فيها: «... **واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[(١)].

إن الاستماع لمثل هذه الدعاوى المتهافتة، والاستجابة لها ليعبر عن قلة ثقة المرأة المسلمة بالإسلام الذي هو شريعة كاملة لأحوال العباد كلها: الاجتماعية، والتربوية، والتعليمية، والاقتصادية، والسياسية وغير ذلك؛ لأنها مُنَزَّلة من الله العليم الحكيم، الذي يعلم أحوال العباد وما يصلحهم وما يفسدهم، ما ينفعهم وما يضرهم، الحكيم سبحانه الذي يضع الأشياء في مواضعها؛ فرسالة الإسلام رسالة شافية كافية، لا تُحْوِج إلى ما سواه؛ لأنها جاءت وافية بجميع أحكام الحياة والموت، جاءت بخير الدنيا والآخرة بِرُمّته، فكيف يُظن ـ إذن ـ أنها تحتاج إلى إفرازات عقول من كفر بالله، وهل ينتج الكفر شيئًا صالحًا!!!

---

(١) رواه البخاري عن عمران بن حصين، ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن ظن ذلك ـ كهؤلاء الفارغين ـ فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعد خاتم النبيين ﷺ، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك، وقلة نصيبه من الفهم الذي وفّق الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عما سواه، ففتحوا به القلوب والبلاد، وبنوا حضارة العدل والفقه والطهارة التي لم يوجد مثلها على هذه البسيطة.

فيا أختاه أنت في الإسلام درة مصونة مكرمة، ذات حرية ؛ ولكنها مقيدة بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولك حقوق وعليك واجبات، أمرت بالقرار في البيوت والابتعاد عن تبرج الجاهلية؛ لما يحصل لك بذلك من العفة والبعد عن أسباب الريبة والفتنة.

۞ نساء سيدات فاضلات

لقد ضربت المرأة المسلمة ـ عبر التاريخ الطويل ـ المثل الأعلى في تربية الرجال، وتثبيتهم على مبادئ الحق والعدل، وتوجيههم إلى الحق والصواب، والشد من أزرهم، والمشورة عليهم؛ حتى بَنَوا أممًا، وأقاموا صرح الإسلام. ولا أدلّ على ذلك من موقف سيدة نساء العالمين خديجة رضي الله عنها وأرضاها لما أوحي إلى النبي ﷺ، فقالت مقولتها الخالدة ـ لما جاء يرجُف فؤاده ـ «**كلا والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق**». ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، فثبته بما عنده من العلم(١)، فهذه امرأة عاقلة حكيمة.

وسيدة أخرى عابدة صابرة: مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها، فجعلها الله آية للعالمين، واصطفاها وطهرها، صبرت ـ عليها السلام ـ على ما الموت خير من الصبر عليه، حتى قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، فصبرت

---

(١) البخاري (٣)، ومسلم (٢٥٢).

لقدر الله حتى ينفذ حكمه سبحانه، وتظهر قدرته العجيبة في أنه الخالق القادر، وكانت مريم هي المصطفاة للقيام بهذا الدور - صلى الله عليها وسلم - وقد خصّها سبحانه بسورة من سور القرآن سمّاها سورة مريم.

وسيدة أخرى: **عائشة بنت الصدّيق**، هي مثال للمرأة العالمة التي فاقت الرجال في حمل العلم وروايته، حتى كانت مرجعًا للصحابة إذا أشكل عليهم أمر من شأن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، مع أنه تُوفى عنها ولها من العمر ثماني عشرة سنة، فكانت رضي الله عنها الثانية في رواية الحديث النبوي بعد أبي هريرة رضي الله عنه، رماها أهل الإفك بما رمَوها به فكان خيرًا لها؛ إذ أنزل -سبحانه وتعالى- في براءتها قرآنا يُتلى، وهي تقول: «ولَشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله عز وجل في بأمر يتلى»[1]. ولما أنزل الله تعالى آية التخيير التي في سورة الأحزاب: ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ

(١) البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠).

ﭐلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] قال لها النبي ﷺ: «**لا تعجلي حتى تستأمري أبويك**». قالت: فيم أستأمرهما؟ إني اخترت الله ورسوله والدار الآخرة[(١)].

وسيدة أخرى صابرة مؤمنة ضربها الله مثلًا للذين آمنوا، وهي آسية امرأة فرعون التي وقفت في وجه أطغى طاغية، وكانت ترى بيتها في الجنة. فقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١]، وكانت الملائكة تظلها من الشمس وهم يعذبونها.

وسيدة أخرى: فاطمة عليها السلام، العابدة، الصابرة، بضعة من النبي، ابتُليت برؤيتها موت سيد ولد آدم؛ نبينا محمد ﷺ.

وتاريخنا الإسلامي مليء بالصور المشرقة للنساء المؤمنات، القانتات، الصادقات: كبقية أزواج النبي، وسارة، وهاجر، وأسماء بنت أبي بكر، وأم سليط المجاهدة، وأم الدرداء الفقيهة العابدة، وأم سليم، وأم حرام بنت ملحان، وغيرهن؛ فطالعي

---

(١) البخاري (٤٧٨٦)، مسلم (١٤٧٥).

أيتها المرأة المسلمة سيرة هؤلاء الماجدات الخالدات، واتخذيهن المثل الأعلى والقدوة الوثقى؛ فإن هذا ـ والله ـ نِعم السبيل للنجاة من فتن الزمان التي فاقت الحصر والحسبان.

۞ تأملات في آيات القرآن الخاصة بالنساء.

إن المتأمل في كتاب الله تعالى؛ يجد أن الله تعالى قد أولى المرأة المسلمة عناية بالغة، في كل ما يتعلق بها - حتى كان في القرآن سورة كاملة سُميت سورة النساء - وذلك أن المرأة هي الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، ثم هي الزوجة، وبالزوج والزوجة بث الله رجالًا كثيرًا ونساءً؛ فهي - كما قيل - نصف المجتمع.

وقد حاولتُ تتبع الآيات الخاصة بالنساء على ترتيب سور القرآن؛ لأبيّن شيئًا من دلالاتها على مدى العناية بالمرأة، وذِكر كل ما يتعلق بها؛ لتعلم أخواتي المسلمات قدرهن عند الله تعالى، فيلتزمن بشرعه، ويصدِّقن بخبره، والله حسبنا ونعم الوكيل.

• في سورة البقرة

ذكر الله سبحانه وتعالى اثنتين وعشرين آية في النساء [٢٢١-٢٤٢] تضمنت ما يلي:

١. اختيار الزوجة. كما قال تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

٢. الحيض. [البقرة:٢٢٢].

٣. إتيان المرأة على أي صفة كانت إذا كان ذلك في صمام واحد، كما قال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣].

٤. الإيلاء [البقرة: ٢٢٦] فمن حلف أن لا يأتي امرأته أُمهل أربعة أشهر، ثم يوقف بعدها، فإما أن يرجع، وإما أن يطلّق.

٥. الطلاق: [البقرة: ٢٢٨-٢٣٢] مع ما فيها من المواعظ حتى قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[البقرة: ٢٣٢].

أ- فمن هذه المواعظ: أنه لا يحل للمرأة إذا طُلّقت أن تكتم ما

خلق الله في رحمها من حيض أو حمل بما يترتب عليه ضياع حقوق الزوج في الرجعة، أو إرهاقه في النفقة، أو إلحاق ولده بالزوج الجديد، كما كُن يفعلن في الجاهلية.

ب- ومنها: أن الزوج أحق برد زوجته في الطلاق الرجعي إن أراد الإصلاح والمودة، وكان ذلك عن رغبة منه، وأما إن قصد الإضرار فليس له في ذلك حق.

ج- ومنها: رعاية حقوق الزوجة، فكما عليها واجبات فلها حقوق. كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

د- ومنها: أنه مع تفضيل الله للرجل عليها فإنه سبحانه عزيز غالب فوق الجميع، فليحذر الزوج التسلط على المرأة ظلمًا وعدوانًا، فإن الله تعالى له حكمة فيما قضى و شرع، ولم يفعل ذلك سبحانه ليتسلط الناس بعضهم على بعض وإنما لحكمة بالغة.

هـ- ومنها: أنه لا يحل للزوج أن يأخذ شيئًا من مهر المرأة إلا

برضاها وطيب نفسها، إلا إذا خلعت المرأة نفسها من الزوج من أجل الدِّين ومن أجل خوفها أن لا تطيع الله فيه، فحينئذ لا جناح عليه أن يأخذ ما أعطاها من المهر. ثم يقول الله تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

[البقرة:٢٢٩] فهذا تحذير من الله أن يتجاوز الإنسان حدود ما أحله الله له إلى الحرام، وتهديد من الله لمن تعدى فإنه ظالم، والله تعالى يعجّل عقوبة الظلم في الدنيا قبل الآخرة.

و- **ومنها**: أن الزوجين إذا تراجعا فيجب أن تكون هذه الرجعة لإقامة حدود الله فيما بينهما، وإلا فلا فائدة فيها.

ز- **ومنها**: أن من طلق زوجته ثم راجعها في العدة من أجل أن يضر بها؛ فقد ظلم نفسه ظلمًا شديدًا. ثم حذّر -سبحانه وتعالى- من ترك العمل بهذه الآيات فإن هذا من اتخاذها هزوًا والجرأة على تركها، وبدل أن يقابل الناس نعمة الله عليهم ـ ببيان الأحكام المزيلة للجهل، وبيان الحِكم الموجبة للترغيب والترهيب ـ بدل أن يقابلها بالشكر ـ وذلك

بالعمل بها والامتثال لها - أيقابلونها باللعب واتخاذها هزوًا وهي فيها ما ينفعهم ويصلحهم.

ح- ومنها: أن المرأة إذا طُلقت وانتهت عدتها، وأراد الزوج مراجعتها بعقد جديد ومهر جديد؛ فلا يمنع أولياؤها نكاحها إذا تراضوا بينهم. فهذا كله من المواعظ التي تنفع المؤمن بالله واليوم الآخر، وهذا كله من التزكية والطهارة اللتين لا يمكن تحصيلهما إلا من شرع الله تعالى، لا من ملة اليهود والنصارى والمشركين أتباع الشياطين. أيكون عند الشيطان تزكية وطهارة، وهو أصل الدنس والخبث والرجس!!! فاعقلي يا أخت الإسلام.

٦. وذكر -سبحانه وتعالى- أيضًا الرضاع وأحكامه.

٧. وعدة الوفاة والإحداد وأحكام ذلك.

٨. والطلاق قبل الدخول، وأحكامه، وأن المتعة فيه ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾. ومتعة الطلاق بعد الدخول، وأن المتعة فيه ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ذكرها سبحانه بعد متعة الوفاة؛

لأن الطلاق يشبه الوفاة فكلاهما فُرقة، أعاذنا الله من الفرقة والاختلاف، ومن جمع سبل الشيطان.

هذا كله يا أخت الإسلام في موضع واحد في سورة واحدة ؛ فاعرفي ـ رحمك الله ـ قدرك عند الله تعالى، وأنك إذا امتثلت أوامر الله واجتنبت ما حرم الله؛ شرُفتِ وارتقيتِ، وتبوأتِ منازل الجنان في جوار الرحمن.

وتأملي كيف ذكر -سبحانه وتعالى- المحافظة على الصلوات في سياق آيات الطلاق وما يتعلق به، وذلك أن هذه منازعات وخلافات بين الزوجين، فمن أعظم ما يريح النفوس من حر الخلاف ويُلزمها العدل والإنصاف؛ المحافظة على الصلاة وإحسانها؛ ولذا كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى[1]، وكان يقول: «**أرحنا بها يا بلال**»[2].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة، وهو حديث حسن/ ص.ج (٤٧٠٣).

(٢) رواه أبو داود، وإسناده صحيح / هداية الرواة (١٢٠٩).

ثم ذكر سبحانه وتعالى في آخر السورة شهادة المرأة، وأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل؛ وذلك لما جُبلت عليه من النسيان والتأثر بالعاطفة التي تؤثر على نقل الوقائع كما هي عليه.

• وفي سورة آل عمران

١. ذكر- سبحانه وتعالى- أنه زُين للناس حب الشهوات، وأول ما ذكر من ذلك النساء لكن قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ۝١٤ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥] فلا تنسوا أيها الأزواج وأيتها الزوجات الآخرةَ بما زُين من الدنيا، فإنها متاع قليل زائل.

٢. وقالت امرأة عمران لما وضعت مريم أنثى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾(*) فكأنها انكسرت نفسها، حيث كان نذرها بناء على أنه يكون ذكرًا، يحصل منه القوة والخدمة والقيام بذلك، والأنثى بخلاف ذلك؛ فجبر الله قلبها، وتقبّل نذرها، وصارت هذه الأنثى أكمل وأتم من كثير من الذكور، بل من أكثرهم،

(*) وقد قالت أمها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، فأعاذها الله وابنها حتى إن الشيطان يطعن في كل مولود عند الولادة إلا عيسى بن مريم. فعوّذي أولادك من الشيطان الرجيم.

وحصل بها من المقاصد أعظم مما يحصل بالذكر، وأنبتها الله نباتًا حسنًا فُربيت تربية عجيبة، دينية، أخلاقية، أدبية، كملت بها أحوالها، وصلحت بها أقوالها وأفعالها، ونما فيها كمالها، ويسّر الله لها زكريا كافلًا، وهذا من منة الله على العبد، أن يجعل من يتولى تربيته من الكاملين المصلحين، وكان لها من الكرامات أنه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

٣. ثم ذكر سبحانه أن مريم بلغت في العبادة والكمال مبلغًا عظيمًا، فاصطفاها الله سبحانه، ووهب لها من الصفات الجليلة والأخلاق الجميلة، وطهرها من الأخلاق الرذيلة، واصطفاها على نساء العالمين، والواجب تجاه نعم الله الشكر. فقال الله لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، وكم لله عليكِ من نعمة أيتها المرأة فهلّا شكرتِ! ما يدريك لعلكِ تكونين أم إمام عالم أو أمير موفّق يرتقي بهذه الأمة الجريحة، كما كان عيسى من مريم عليهما السلام.

٤. وفي آخر هذه السورة ذكر -سبحانه وتعالى- أنه لا

يضيع عنده عمل عامل ذكرًا كان أو أنثى، فالذكورة أو الأنوثة ليست مؤثرة في قبول العمل أو رده، ولذا قال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. قال **الزمخشري**: أي: يجمع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر أي: من أصله، أو كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم. وقيل: المراد وصلة الإسلام.

قال: وهذه جملة معترضة بُينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله به عباده العاملين ا.هـ.

• سورة النساء

١. قد افتتحت بمثل هذا الذي قرره الزمخشري آنفا؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ فبالتزاوج بين الرجل والمرأة كان هؤلاء الناس الكثير، وهذه آية من آيات الله دالة على قدرته، وعلمه، وحكمته، ومن ثم توحيده، وتقواه -سبحانه وتعالى.

٢. وذكر سبحانه في هذه السورة العدل بين الزوجات والمهر والصداق، وأنه لا يحل للرجل أن يأكل منه شيئًا إلا عن طيب نفس من الزوجة، فكيف بمن لا يؤدي إليها مهرها،وهذا يلقى الله وهو زانٍ كما أخبر النبي ﷺ[1]. قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١] فهي بذلت

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير»، وهو صحيح / صحيح الترغيب والترهيب(١٨٠٧).

لك نفسها على هذا العِوض ـ وهو المهر ـ وأنت استوفيت المعوض فثبت عليك العوض، فكيف ترجع فيه! هذا من أعظم الظلم والجور.

٣. وذكر سبحانه حق المرأة في الميراث وقد كانوا في الجاهلية لا يوّرثون الضعفاء كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء، ويزعمون أنهم أولى به لأنهم أهل الحرب والقتال، والنهب والسلب، بل كانت عندهم المرأة متاعًا يورث. كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ ﴾ [النساء: ١٩] فكان ولي الرجل يرث امرأته على أنها من جملة تركته، فيضع عليها ثوبًا، فإن كانت جميلة تزوّجها وإلا أعضلها ـ أي: منعها من الزواج حتى تردّ إليه الصداق الذي أعطاها زوجها.

٤. وذكر سبحانه معاشرة النساء بالمعروف، وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف: من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة. فإن كرهها فليصبر فلربما زالت الكراهة وتخلُفها المحبة كما هو الواقع، وهو إن كره منها خلقًا، رضي منها آخر كما

قال النبي ﷺ[1].

٥. وذكر سبحانه أن الزوجين إذا خافا على أولادهما من بعدهما، فالسبيل المضمون لحفظهما هو تقوى الله تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

٦. وذكر سبحانه ما يحرم على الرجل بسبب النسب وبسبب المصاهرة، وكذلك التحريم المؤقت، ثم أحل -سبحانه وتعالى- غيرهن من النساء إذا أعطى لها مهرها فريضة من الله، ثم لا جناح عليهم أن يتراضوا مما افترضوه من المهر، فيتميز النكاح من السفاح واتخاذ الأخدان ؛ مما انتشر في زماننا من أنواع من الزواج التي عليها من الشروط المبتدعة، والتي إما أن تكون شروطًا فاسدة مفسدة للنكاح، أو تكون شروطًا فاسدة غير مفسدة كالزواج العرفي، وزواج المسيار، واتخاذ الصديق والصديقة، وغير ذلك مما يشيع الفاحشة في مجتمعات الإسلام والطهارة.

---

(١) رواه مسلم.

٧. وبعد أن ذكر -سبحانه وتعالى- جملة من هذه الأحكام؛ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٦-٢٨]. فالله سبحانه ـ من رحمته ـ يبين لنا كل ما نحتاجه؛ لنكون على طريقة مَن قبلنا من الأنبياء وأتباعهم رجالًا ونساءً، فإذا كنا على طريقتهم تاب الله علينا وفتح لنا أبواب الرحمة، والله يريد لنا هذا بشرط أن نلتزم شرعه، وأما الشياطين وأتباعهم فيريدون أن نميل مع الشهوات حيث مالت، فنقدمها على رضا الله عز وجل، وهم لا يكتفون بمجرد الميل حتى نميل ميلًا عظيمًا عن الصراط المستقيم.ألا فاحذري يا أخت الإسلام؛ فإنهم ـ والله ـ لا يريدون منك إلا هذا، وهم يعلمون أن الفتنة بك أعظم، فيفتنونك ويفتنون بك، فلا نجاة لك ولا رحمة ولا سعادة إلا في الالتزام بشرع الله تعالى كله. فأي الداعِيَيْن تلبين، وأي الطريقين تختارين؟!!.

٨. وذكر سبحانه ـ في هذه السورة الجامعة ـ أن كل واحد من

الجنسين رجالًا ونساءً يرضى بما جبله الله عليه وقَسَمه له، فإن فيه مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدة له وضررًا عليه، فلا يتمنى الرجال خصائص النساء، ولا النساء خصائص الرجال؛ لأن هذا يقتضي السخط على قدر الله، والخروج عن شرع الله. ثم لماذا هذا التمني، والله تعالى يعطي كل واحد من جنسه جزاءً بحسب ما اكتسب، وعلى قدر ما أعطاه من القدرة والإمكان، فترْك المرأة للصلاة زمن الحيض لا ينقص من ثوابها عند الله، وعدم شهودها الجماعة في المسجد لا يقلل أجرها، ونحو ذلك من أحوال المرأة؛ وذلك كله من دلالة قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [النساء: ٣٢].

٩. وذكر سبحانه قوامة الرجل على المرأة ؛ فهو ينفق عليها ويُلزمها بطاعة الله، ويكفها عن المفاسد، ولولا ذلك حصل فساد عريض، والمرأة الصالحة هي التي تعترف بهذا التفضيل وتعمل بمقتضاه، فتطيع الزوج وتحفظه في غيبته، وإذا نشزت أدَّبها الرجل ـ بما له من القوامة ـ أدَّبها بالوعظ والهجر وإلا الضرب غير المبرّح. فإذا لم يُفِد هذا وخيف الشقاق؛ قام حَكَمٌ من أهله

وحكمٌ من أهلها للإصلاح بينهما، فإن أرادا الإصلاح حقًا؛ وفّق الله بينهما.

١٠. فإلى هذا الموضع ثمان عشرة آية في النساء آدابًا وأحكامًا ومواعظ.

١١. ثم ذكر سبحانه أربع آيات أخرى فقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ [النساء: ١٢٧] أي: فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شؤون النساء: من القيام بحقوقهن، وترك ظلمهن عمومًا وخصوصًا، وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرًا ونهيًا في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار والكبار. ثم خص ـ بعد التعميم ـ الوصية بالضعاف من اليتامى والولدان، اهتمامًا بهم، وزجرًا عن التفريط في حقوقهن، فقد كانت اليتيمة تكون تحت وصاية أحدهم، فإذا كبرت -وكانت ذات جمال ومال- رغب فيها، دون أن يقسط في مهرها، وإذا رغب عنها -وكانت ذات مال- منعها من التزويج لينتفع بمالها.

١٢. ثم ذكر سبحانه حالة نشوز الزوج وعدم رغبته في

المرأة وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحا بينهما صلحًا، وذلك بأن تتنازل المرأة عن بعض ما لها من حقوق، وهذا خير من الفرقة، وليحذر الزوجان نفوسهما، فإن النفوس شحيحة، لا تكاد تسمح بالصلح والتنازل من أجل البقاء وعدم الفرقة. هذا وهناك **حالة ثانية** للزوجين هي ميل الزوج إلى إحدى زوجاته محبةً ووطئًا، فهذا لا بأس به، بشرط أن لا يؤثر على العدل الظاهر من النفقة والمبيت، فإذا مِلتم أيها الأزواج فلا تميلوا كل الميل؛ لأن الزوجة حينئذ تصير كالمعلقة، لا يُدرى هل هي ذات زوج أو لا. **ثم حالة ثالثة**: وهي إذا تعذر الاتفاق فلا بأس بالفراق. ووعد سبحانه أنه يغني كلًّا من هذين الزوجين المتفرقين من سعته، فيرزقه الله ويرزقها، ويبدله بزوجة خير منها، ويبدلها بزوج خير منه، والله عليم حكيم، غفور رحيم.

١٣. الزوجة ـ أيها الزوج ـ تدخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ فإنها ملازمة لك فأحسن إليها. وأنتِ كذلك ـ أيتها الزوجة ـ زوجك صاحب بالجنب، فأحسني إليه،

فإنه جنتك ونارك، واصبري وتصالحا، ولو على حساب بعض حقوقك، فإن الصلح خير من الفرقة والبقاء بلا زوج. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

• وفي سورة المائدة

ذكر سبحانه أن الأنثى لا تُعفى من الحدود، فإذا سرقت قُطعت يدها، فالمخزومية لما سرقت قُطعت يدها وقال ﷺ: «**وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(١)].

وهذه المرأة التي كانت تستعير المتاع ثم تجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها[(٢)]. وقال تعالى ـ في سورة النور ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، وقد ذكر البقاعي السر في تقديم الزانية هنا في سورة النور فقال: وقدّمها لأن أثر الزنا يبدو عليها من الحبل وزوال البكارة، ولأنها أصل الفتنة بهتك ما أُمرت به من حجاب التستر، والتصوّن، والتحذُّر[(٣)].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وانظر الإرواء (٢٤٠٥).

(٣) انظر: نظم الدرر. تفسير سورة النور.

• وفي سورة الأعراف

١. كونا ـ أيها الزوجان ـ كالأبوين لما أصابا الخطيئة؛ فإن من أشبه أباه ما ظلم(*) قال الله تعالى عنهم: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

٢. وفيها أن الله -سبحانه وتعالى- أنزل اللباس لستر العورات وزينة ورياشًا، ولكن الشيطان يريد كشفها من بني آدم، كما سعى في كشفها من الأبوين. قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦-٢٧] فاحذري أيتها المسلمة كيد الشيطان في كشف عوراتك واستتري بما أنزل الله من لباس، وتذكري بهذا اللباس لباس التقوى، فلَرُب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة؛ وذلك

(*) المراد بهذا المثل: الشبه فيما جُبل عليه الإنسان من تحتُّم الذنب، ثم إن الأبوين استغفرا، فالشبه بهما في تحتم الذنب على بني آدم والاستغفار.

لأنها لم تأت بالتقوى.

٣. وتذكري أيضًا بهذه الزينة أن الله تعالى أحلها ـ بلا إسراف ولا افتخار ـ وإنما حرم سبحانه ما ذكر في هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

٤. وفيها التنديد بالشرك بالمنعم -سبحانه وتعالى-، وهو الذي أنعم بكل شيء وأعطى كل شيء، فكيف يُشرَك به سبحانه! قال تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٨]. ما أبلغها من آيات في إبطال الشرك بجميع الدلالات ومن كل الوجوه، فإن الله هو الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجًا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما تحصل به الشهوة، واللذة، والأولاد، والنسل، ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتًا موقوتًا تتشوف إليه نفوسهم ويدعون الله أن يخرجه سويًا صحيحًا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم،أفلا يستحق أن يعبدوه ولا يشركوا في عبادته أحدًا، ويخلصوا له الدين! ولكن الأمر جاء بالعكس فأشركوا بالله ما لا يملك لهم ضرًا

ولا نفعًا، ولا نصرًا ولا حياة ولا نشورًا؛ فقبّح الله الشرك وأهله، وصان أمة الإسلام منه وطهرهم. وعليك أيتها المرأة دور كبير في تعليم التوحيد والتحذير من الشرك فأدّي ما عليك يا مَدْرَسَةَ الرجال.

• وفي سورة براءة

ذكر الله تعالى المنافقين والمنافقات، والمؤمنين والمؤمنات فاحذري النفاق وكوني مؤمنة. فقال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [براءة: ٦٧].

ثم ذكر -سبحانه وتعالى- ما توعدهم به من عذاب جهنم، لهم فيها العذاب المقيم، وأنه سبحانه لعنهم وطردهم من رحمته. وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فأصلهم واحد وهو النفاق، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [براءة: ٧١] ثم ذكر -سبحانه وتعالى- ما وعدهم به من الجنات والمساكن الطيبة في جنات عدن، والأكبر من ذلك وأعظم رضوان الله عز وجل. وتأملي كيف قال تعالى في المنافقين والمنافقات: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾

وقال في المؤمنين والمؤمنات: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ لأن المنافقين والمنافقات مرجعهم الجمود على الهوى والطبع والعادة، والتقليد من التابع منهم للمتبوع، فهم يرجعون إلى أصل واحد في صفة النفاق، أمورهم متشابهة في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم،والقصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان. وأما المؤمنون والمؤمنات فلم يقلد منهم أحدًا في أصل الإيمان، ولا وافقه بحكم الهوى، بل كلهم قاصد لاتباع الرسول ﷺ، فإيمانهم صحيح، واتباعهم راسخ، وهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

• وفي سورة يوسف

١. احذري يا أخت الإسلام أن يدعوك جمال صورة إنسان إلى ارتكاب الفاحشة معه؛ فإن الله أباح طريقًا شرعيًا لإشباع هذه الحاجة بالزواج، وما ضيّق الله على خلقه، فإذا أحببتِ إنسانًا فعليكما بالنكاح، فإن النبي ﷺ قال: «**لم يُر للمتحابَّيْن مِثلُ النكاح**»[1]. ولا تكوني مثل امرأة العزيز في أول أمرها مع يوسف عليه السلام، واعتبري بما قالت في آخر الأمر لما حصحص الحق قالت: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ (يوسف: ٥٢) فإن كل خائن لا بد أن تعود خيانته ومكره على نفسه، ولا بد أن يتبين أمره. واعتبري أيضًا بما قرّرتْه أنها لم تقع في الفاحشة ولكن هذا لا يعني أن نفسها بريئة من كل شيء؛ لأنها وقعت في مراودة وهَمّ وحِرص شديد وكادت في ذلك؛ فقالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣] فالنفس كثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، بالفاحشة والذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان، إلا من رحمه الله ونجاه من نفسه

---

(١) رواه ابن ماجه والاكم عن ابن عباس،وهو صحيح / الصحيحة (٦٤٢).

الأمارة حتى تصير نفسًا مطمئنة، فذلك من فضل الله ورحمته بعبده.

٢. واحذرْن أيضًا ـ أيتها الأخوات المسلمات ـ احذرن الكيد فيما يتعلق بالرجال وحبهم والتعلُّق بهم، وأن تحتال إحداكن لتنظر إلى رجل فيكون في ذلك فساد وإفساد، فإن بعض النساء يتكلمن فيما بينهن فيقلن مثلًا: يا لجَمال هذا الرجل وملاحته وحلاوته، ثم يكِدن فيما بينهن لتظفر به، ففتنة نسوة برجل جميل كفتنة رجال بامرأة جميلة، فاحذروا، واحذرن، وتأملن كيف لما علم النسوة بأن امرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه، وأنها فعلت ذلك لأنه شغفها حبًا(*)، فعرفت أنهن أردن بذلك إثارتها حتى تغضب، وتدعوهن ليرينه -وهذا من مكرهن- فرأينه، فذهب بعقولهن حتى قطعن أيديهن وقلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، فعذرن امرأة العزيز في حبه حتى جعلن يُشرن على يوسف في مطاوعة سيدته، وجعلن يكدنه في

(*) دخل حبه شغاف قلبها ـ وهو باطنه وسويداؤه ـ وهذا أعظم ما يكون من الحب.

ذلك، فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد، فكان يوسف عليه السلام مثالًا يُحتذى في الصبر على الشهوة المحرمة، ومثالًا يُحتذى في العفة والطهارة، فاستعصم وقال: معاذ الله، ولم يخن سيده في أهله. فيا أيها الرجال والنساء تأسَّوا بنبي الله يوسف في العفة والطهارة، وكونوا من المؤمنين المفلحين الذين ذكر الله من صفاتهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

• وفي سورة الرعد

كوني صالحة تدخلي جنات عدن. قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

• وفي سورة الحجر

جعل الله تعالى المرأة محلًا لقضاء الشهوة وحصول اللذة بالنكاح الصحيح، فالذي يبتغي غير ذلك فهو عادٍ- كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧] - ولذا قال لوط عليه السلام لقومه المجرمين الذين أتوا بفاحشة اللواط، ولم يسبقهم بها أحد من العالمين، وصاروا رائد سوء لمن فعل فعلهم من بعدهم؛ قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٧١] وقال: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] ومراده عليه السلام توجيههم إلى ما أحل الله لهم من النساء؛ فإن النبي أب لنساء قومه، ويبين هذا قوله في سورة الشعراء: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦] وقيل: أراد تبيين الحق لهم بعرض بناته عليهم ـ مع امتناعه ـ كما عرض سليمان على المرأتين ذبح الولد، فرفضت المرأة

الصغرى وقالت: لا ـ يرحمك الله ـ هو ابنها، فتبين الحق في ذلك وأنه ابن الصغرى.

• وفي سورة النحل والزخرف

١. ذكر سبحانه بعض أهل الجاهلية وما يفعلونه في حق الأنثى، حتى كانوا يقتلونها. وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩] أي: أيتركها من غير قتل على إهانة وذل، أم يدفنها حية. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩]. ولا تحسبي أن الحضارة الكافرة ارتقت بالمرأة، كلا يا أخت الإسلام، فإنك في الإسلام عزيزة مكرمة، محترمة موقرة، سيدة بيتك، يشير عليك زوجك، تربين أولادك، لكِ النفقة وأنت في خِدرك، وصّى الله بك ورسوله، وجاء الإسلام بأحكام تخصك، الغرض منها: صيانتك وحفظك، وألا تكوني سلعة رخيصة، تبتذلها كل يد، ويلوكها كل لسان، وينظر إليها كل خِدن شيطان. إن المرأة في

بلاد الكفر لم تكن قط موضع الاحترام الحقيقي كمخلوق إنساني جدير بذاته، أن يكون له كرامة، بصرف النظر عن الشهوات التي تحببها إلى نفس الرجل. وجاءت الثورة الصناعية فشغّلن النساء والأطفال في المصانع، وتهدمت روابط الأسرة، ووُجدت ملايين النساء بلا عائل بعد الحرب العالمية الأولى، فتنازلت النساء عن أخلاقهن من أجل الطعام، ومن أجل قضاء حاجتهن الجنسية.

إن المدنية الحديثة بدلًا من أن تحصّن أنوثة المرأة ضد العبث تعمدت إطلاق الجانب الحيواني في البشر، وجعلت من أنوثة المرأة فتنة، تبعثر الإثم في كل مكان: عُري وإثارة، ورقصٌ ودعارة، وإباحية لإشباع الغريزة الجنسية بكل سبيل وطريق، اختلاط وخلوات، وسفاح وخدانات. عند اليهود المرأة مجردة من معظم حقوقها المدنية، وعند البراهمة ليس لها حق في التصرف في أي أمر. وكذلك فعل القانون اليوناني والروماني، وهكذا بقية النظم والنِّحَل تنظر إلى المرأة على أنها من طبيعة إنسانية

وضيعة[1].

٢. وفي هذه السورة أيضًا ذكر -سبحانه وتعالى- أن الزواج والأولاد نعمة من نعمه -سبحانه وتعالى-، فعُلم أن ما يضاد ذلك من الخنا والزنا والخدانة والفجور، كل هذا من نِقَمِهِ -سبحانه وتعالى-؛ فلا تغتري أيتها المسلمة بما عليه المرأة الغربية ـ التي يزعمون أنها متحضرة ـ فإنها في سخط الله وفي نقمة الله.

٣. وفيها أيضًا ـ علاوة على ما في سورة آل عمران والنساء ـ التسوية بين الذكر والأنثى في عمل الصالحات والثواب عليها.

(١) انظر كتاب «سماحة الإسلام». تأليف عمر قريشي (ص٣٦٩-٣٧٢).

• وفي سورة مريم

شرّف الله ذكر مريم ـ كما تقدم ذكره في سورة آل عمران ـ وذكرها الله تعالى في سورة الأنبياء بقوله: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فذُكرت بذكر الأنبياء عليهم الصلوات والتسليم، وشُرّفت بشرفهم، وذكرها الله بإحصان فرجها هنا في هذه السورة، وفي سورة التحريم لكن قال سبحانه هنا: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ وفي التحريم قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾، والسر في ذلك ـ والله أعلم ـ أن المقصود في سورة الأنبياء تشريفها مع جملة الأنبياء فهي المقصودة بالذِّكر، وأما في سورة التحريم فالمقصود بيان طهارتها لتكون مثلًا للنساء، وهذا يناسبه ذكر محل التشريف صراحة بلا كناية وهو فرجها لما أحصنته.

• وأما سورة النور

فهي نور للمرأة المسلمة:

أ- فذكر الله تبارك وتعالى فيها حكم الزانية والزاني.

ب- وأن الزانية -التي صار الزنا وصفًا لها ولم تتب منه- لا تصلح أن تكون زوجة، وكذلك الزاني لا يصلح أن يكون زوجًا.

ج- وذكر سبحانه فيها تحريم قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وأن فاعل ذلك يجلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة، ومحكوم عليه بالفسق إلا من تاب.

د- وذكر سبحانه حكم اللعان: إذا وجد الرجل رجلًا مع امرأته، فيرفع أمرها إلى القاضي، ويجري بينهما اللعان -كما ذكر الله تعالى- ثم بعد ذلك يفرّق بينهما فُرقة مؤبدة.

هـ- ثم ذكر -سبحانه وتعالى- براءة الطاهرة المطهرة الصدِّيقة المصدّقة عائشة أم المؤمنين، مما رماها به أهل الإفك والبهتان الذين هم سفهاء لا يعقلون، كيف لا يظن الواحد منهم هذا بأهله ثم يظنه بهذه الطاهرة، وقد ذكر سبحانه أن هذه

الواقعة كانت خيرًا من وجوه عديدة: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾، فذكر الله فيها منهاجًا تجاه الشائعات على المؤمنات الغافلات:

فأولًا: إحسان الظن ورد الإفك والبهتان.

وثانيًا: إن كان ما قيل حصل فأين البينة عليه بأربعة شهداء.

وثالثًا: عدم تناقل ما قيل بتلقيه بالألسن دون التعقل، ثم عند نقله ينقلونه بالأفواه، فكأنهم يزيدون فيه،ويحسبون أن هذا أمر هيّن مع أنه قتْل لمن قيل فيه ذلك، وإشاعة للفاحشة في المجتمع.

و- وذكر -سبحانه وتعالى- أن هذا من اتباع خطوات الشيطان، وأن التزكية للنفوس لا تحصل إلا بفضل الله تعالى؛ لأن الشيطان يجلب خيله ورَجِلَه على الإنسان علاوة على النفس الأمارة بالسوء؛ ولذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾.

ز- ثم قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦] والنبي ﷺ

أطيب الخلق وأزكاهم، فلا يناسبه ولا يختار الله له إلا كل طيب من النساء.

ح- ثم ذكر- سبحانه - سبل حماية المجتمع من فاحشة الزنا بأمرين: الاستئذان حتى لا يُطَّلَع على عورات البيوت، وغض البصر حتى لا يطلع على عورات النساء، وقرن الله تعالى بينهما لأن البيوت بالنسبة لما بداخلها كالثياب بالنسبة لما تحتها، ثم من جهة أخرى نهى المرأة أن تُظهر زينتها إلا لمحارمها، وأن لا تضرب برجلها ليُعلم زينتها تحت الثياب، كل هذا من أجل إحكام النهي عن الزنا بكل سبيل.

ط- ثم أمر -سبحانه وتعالى- بالتزويج؛ لأنه السبيل الحلال إلى قضاء الوطر وإشباع هذه الشهوة والحاجة، ومن لم يجد نكاحًا فليستعفف حتى يجد ويغنيه الله من فضله، وليلزم الصوم فإنه له وجاء.

ي- ثم ذكر -سبحانه وتعالى- استئذان الأطفال وملك اليمين في العورات الثلاث: من قبل صلاة الفجر وحين القائلة ومن بعد صلاة العشاء. فإذا بلغ الأطفال فليستأذنوا في جميع الأوقات كغيرهم.

ك- ثم ذكر -سبحانه وتعالى- القواعد من النساء اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة ولا يطمعن في النكاح، ولا يُطمع فيهن لكونها عجوزًا لا تُشتهى ولا تَشتهي، أو دميمة الخلْق؛ فهؤلاء لا حرج عليهن في وضع الثياب الظاهرة كالخمار ونحوه، ولكن لا تُظهر زينة؛ لأن الزينة سبب للفتنة حتى ولو كانت على عجوز. ثم حث -سبحانه وتعالى- هؤلاء القواعد على العفة لأنها خير فكيف بالشابات!

• وفي سورة الفرقان

ذكر -سبحانه وتعالى- أن من صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ [الفرقان: ٧٤]. فأكثري من هذا الدعاء أيتها المسلمة ـ أنت وزوجك ـ فإنه في الحقيقة دعاء لكما؛ لأن نفعه يعود عليكما، بل يعود إلى عموم المسلمين في زمان تسلط الطغاة على أمة الإسلام. وبمثل هذا دعا إمام التوحيد والإسلام إبراهيم الخليل في مواضع من القرآن: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. فلا أحب إلى الصالحين من أن يروا ذرياتهم صالحين يعبدون الله وحده.

• وفي سورة النمل

ذكر الله تعالى ملكة سبأ[سبأ:٢٩-٤٤]: امرأة عاقلة فَطِنة، فكان ذلك سبب إسلامها مع سليمان لله رب العالمين. تأملي كيف أقرت بكرامة الكتاب: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ وكيف استشارتها لقومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾، وكيف وازنت الأمور: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾، وكيف تحاول الصلح والمهادنة: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾. وفراستها وعدم استعجالها وجزمها لما جاءها عرشها قالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾. وفي الحقيقة أن من أعظم مواصفات المرأة عقلها، كأم سلمة لما استشارها النبي ﷺ يوم الحديبية، وخديجة لما ذهبت بالنبي ﷺ إلى ورقة وغير ذلك.

• وفي سورة القصص

١. ذكر -سبحانه وتعالى- في أول هذه السورة أم موسى المؤمنة المتوكلة على الله التي ربط الله على قلبها؛ كيف ألقت وليدها في اليم؛ امتثالًا لإرشاد الله لها بذلك، فسار به الماء إلى دار فرعون، فأخذه جواري فرعون من البحر ؛ فكان موسى الذي جعل الله خلاص بني إسرائيل على يديه، فما يدريك يا أخت الإسلام لعلك تلدين رجلًا يُعده الله تعالى ؛ ليعز به أمة الإسلام وينصرها ويخلصها من ظلم الظالمين، واعتداء الغاشمين، والله تعالى من سنته الجارية أن جعل الأمور تقع شيئًا فشيئًا، ولا تأتي دفعة واحدة.

٢. وذكر سبحانه أخت موسى بذكائها وحزمها وحَذَرِها، فإنها ـ عملًا بأمر أمها ـ قصّته ـ أي: تتبعت خبره وبحثت عنه من غير أن يشعر بها أحد حتى إنها لما أبصرته لم تقصد النظر إليه، وإنما رأته خِلسةً كأنها مارة لا قصد لها فيه، ثم لما منعه الله قبول ثدي امرأة إلا أمه خرجوا به إلى السوق

يطلبون له مرضعًا. فقالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾، وهذا هو غاية غرضهم وجُلّ مطلوبهم؛ فإنهم قد أحبوا موسى حبًا شديدًا ـ وقد منعه الله المراضع ـ فخافوا أن يموت.

٣. وذكر -سبحانه وتعالى- أم موسى الأخرى ـ رضي الله عنها ـ وهي امرأة فرعون التي كان موسى قرة عين لها؛ فإنها أحبته حبًا شديدًا، ولم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبّأه الله وأرسله؛ فبادرت إلى الإسلام والإيمان به.

فتعلمي أيتها المرأة المسلمة من قصة هؤلاء الثلاث: أم موسى، وامرأة فرعون، وأخت موسى؛ الدروس الآتية:

أ- إذا توكلتِ على الله في شيء فاطرحي القلق والخوف والحزن؛ فإن هذا يقدح في التوكل: ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾.

ب- إذا أشرت على زوجك بشيء فيه نفع ومصلحة فبيّني له وجه النفع والمصلحة التي فيه؛ فإن هذا أدعى لقبوله؛

فإن فرعون الطاغية لما بينت له امرأة فرعون بقولها: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ أذعن لطلبها.

ج- عند فقد الأولاد ادعي الله أن يربط على قلبك لتكوني من المؤمنين بقدر الله وبوعد الله في الخلف عليك عاجلًا أو آجلًا؛ فإن أم موسى لما وضعته في اليم وسار به الماء إلى دار فرعون؛ أصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا من ذِكر موسى حتى كادت أن تُبدي به فتقول: ولدي!

د- قيام المرأة بدورها في تَحَسُّس الأخبار -إذا تعيّن ذلك عليها أو كانت هي الأنسب في ذلك- كما فعلت أخت موسى. فإذا تعيّن ذلك عليها فلتتفطّن حتى لا تُعرف، وإذا تكلّمت عرَّضت، وأخفت الحقيقة -كما قالت أخت موسى- ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فلما قالت ذلك أخذوها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: نصحهم وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤورة(*) الملك ورجاء منفعته.

(*) الظؤورة: أن تكون امرأة ظِئرًا أي مرضعًا عند الملك.

هـ- اعلمي يا أخت الإسلام أن وعد الله حق ـ وأكثر الناس لا يعلمون ذلك، وتقل ثقتهم بالله ـ فإن الله تعالى قال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فكان ذلك، وهيأ الله أسباب ذلك حيث حرّم الله عليه المراضع -إلا أن تكون أمه- وأخته دلّتهم على بيت أمه، فذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاءً جزيلًا، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلًا وأولادًا، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلتُ؛ فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت عليها النفقَة، والصلات، والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمنًا، في عِزٍّ وجاهٍ

ورزق دارّ، ولم يكن بين الشدة والفرج إلا يوم وليلة ـ أو نحوه ـ فسبحان من بيده الأمر! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا وبعد كل ضيق مخرجا. وحِكَمُ الله سبحانه في أفعاله وعواقبها المحمودة ـ التي يُحمد عليها سبحانه في الدنيا والآخرة ـ لا يعلمه كثير من الناس فيتعجلون ولا يصبرون، فربما وقع الأمر مكروهاً إلى النفوس، وعاقبته محمودة في نفس الأمر كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

٤ . وذكر -سبحانه وتعالى- أيضًا في هذه السورة [القصص:٢٣-٢٨] قصة موسى مع صاحب مدين وابنتيه لما سقى لهما غنمهما، وكان من خبره أن قصّت البنتان الخبر على أبيهما، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها، فجاء وكان من أمره أن تزوّج إحداهما، ففي هذه القصة فوائد للنساء:

أ- جواز خروج المرأة لقضاء حاجة أبيها الذي كبر في السن- إذا لم يكن عنده رجل، ولا يستطيع أن يستأجر أجيرًا لقلة ذات يده، أو عدم وجود الأجير الأمين ونحو ذلك- لكن إن خرجت في مثل هذه الحالة فلا تخالط الرجال بقدر الإمكان حتى لا تُؤذى؛ فإن المرأتين كانتا تذودان غنمهما- أي: تكفكفان غنمهما حتى لا ترِد مع غنم القوم لئلا يُؤذيا.

ب- جواز رد المرأة على سؤال الرجل مع اجتناب الخضوع بالقول، وإبداء العذر في الخروج من البيت: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾. معناه: لا يحصل لنا السقي إلا بعد فراغ هؤلاء، وشيخوخة وكِبَر أبينا هو الذي ألجأنا إلى هذا العمل، وإلا لما خرجنا.

ج- إذا احتاجت المرأة إلى كلام الرجل كلّمته بقدر المطلوب، وتُلازِم الحياء عند ذلك، فإن الحياء أعظم ما تتحلى به المرأة، وأيضًا تلازم الأدب في كلامها. قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى

يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ أي: تمشي مشي الحرائر مستترة بكُم درعها ليست بسلفع خرّاجة ولّاجة[1] وفي قولها:

﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ﴾ تأدبٌ في العبارة، فلم تطلبه طلبًا مطلقًا لئلا يوهم ريبة.

د- إشارة البنت على أبيها مع ذكر وجه هذه الإشارة وسببها، فالبنت أشارت على أبيها باستئجار موسى، وبينت سبب ذلك بكلام جامع حكيم؛ لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر فقد تم المقصود. ولا يُستبعد أن تكون أشارت البنت بكلامها هذا إلى الرغبة في نكاحه بدليل قوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ والله أعلم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم عن عمر. وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح. ومعنى سلفع: جريئة سليطة. خراجة ولاجة: كثيرة الدخول والخروج.

• وفي سورة الأحزاب (الآيات: ٢٨-٣٥)

١. نبراس ومنهاج للمرأة المسلمة -كالذي تقدم ذكره في سورة النور- وهذا النبراس الغرض منه إذهابُ الرجس عن المرأة، وطهارتُها تطهيرًا، ويتلخص هذا النبراس الحبير والسراج المنير فيما يلي:

أ- أن تريد المرأةُ اللهَ والدارَ الآخرة، وهذا هو قطب رحى الإسلام وعمود فسطاطه، والمرأة التي تريد الحياة الدنيا وزينتها فلا فائدة في صحبتها. قال تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] ولن تبلغي منزلة الإحسان إلا بإرادة وجه الله، واتباع رسوله، وإيثار الدار الآخرة على دار الدنيا.

ب- البعد عن الفاحشة لأنها منافية للإحسان؛ لأن الإحسان هو فعل الجميل وترك القبيح؛ ابتغاء وجه الله وثواب الآخرة.

ج- القنوت -وهو الطاعة لله والرسول، وطاعة من أُمرتِ بطاعته- وعمل الصالحات، وهذا من باب التحلي والذي قبله من باب التخلي.

د- عدم الخضوع بالقول، فتكلم الأجانب كأنها خاضعة لهم منكسرة، فحينئذ يطمع فيها الذي في قلبه مرض الشهوة. والخضوع بالقول إنما يكون للزوج لا للأجنبي، والعجيب في أمر بعض النساء عكسُ ذلك؛ فتراها تخضع للأجنبي وتخشُن على الزوج.

هـ- القرار في البيوت وعدم الخروج إلا لحاجة، فإذا احتاجت إلى الخروج فلا تتبرج بإظهار زينتها.

و- إقامة الصلاة التي فيها الإخلاص للمعبود، وإيتاء الزكاة التي فيها الإحسان إلى العبيد. وهاتان العبادتان -بالخصوص- تدعوان إلى غيرها من العبادات؛ فلأجل ذلك خصهما الله بالذكر.

ز- ثم طاعة الله ورسوله عمومًا.

فهذا هو سبيل الطهارة وإذهاب رجس الشيطان الذي لا هَمّ له إلا إيقاع العبد في المعاصي؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

والآيات هذه وإن كانت في نساء النبي فالمقصود نساء الأمة أيضًا؛ لأنهن تَبعٌ لهن في ذلك، ألا ترين أيتها المسلمة أن الآيات بعد ذلك جاءت عامة في الرجال والنساء. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أ- ثم ذكر -سبحانه وتعالى- أن السبيل الأعظم والطريق الأقوم إلى القيام بهذه الأمور هو العلم والتذكير بها.

فقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾.

ب- ثم ذكر -سبحانه وتعالى- شمول دينه للرجال والنساء، فذكر صفات الرجال والنساء التي بها ينالون وينلن المغفرة والأجر العظيم: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، الخشوع، والصدقة، والصوم، وحفظ الفرج، وذكر الله كثيرًا.

٢. وذكر -سبحانه وتعالى- فيها أيضًا أن المرأة إذا طُلِّقت قبل الدخول بها فليس عليها عدة، ولها متعة بشيء من متاع الدنيا يكون جبرًا لخاطرها لأجل الفراق، وأمر سبحانه أن يكون الفراق فراقًا جميلًا من غير مخاصمة ولا مشاتمة.

٣. وذكر سبحانه أيضًا ما يحل للرجل من نساء الأقارب، وهن: بنات العم، وبنات العمة، وبنات الخال، وبنات الخالة. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «أما المحرمات «بالنسب» فالضابط فيه أن جميع أقارب الرجل من النسب حرام عليه، إلا بنات أعمامه، وأخواله، وعماته، وخالاته... وأما المحرمات «بالصهر» فالضابط فيه أن كل

نساء الصهر حلال له إلا أربعة وهن حلائل الآباء، والأبناء، وأمهات النساء، وبناتهن»[١].

٤. وذكر سبحانه وتعالى أيضا مخاطبة المرأة من وراء حجاب فإنه سبيل الطهارة. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر؛ كان بذلك أسلم له وأطهر لقلبه. لكن بالنسبة للمحارم فلا مانع أن تظهر عليهم بزينتها التي تظهر غالبًا حال المهنة كاليدين وجزء من الساعد، والقدم وجزء من الساق، والشعر والرقبة، وهذه المواطن هي مواطن الزينة التي قال الله تعالى في سورة النور[*]: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٦٢، ٦٥).

(*) قال ابن كثير: وفيها زيادات على هذه ـ أي: على آية الأحزاب. قلت: عددهم اثنا عشر وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وملك اليمين والنساء. وزادت سورة النور: الأزواج، وآباء الأزواج، وأبناء الأزواج، والتابعون غير أولي الإربة من الرجال ـ وهم من لا حاجة لهم في النساء، والأطفال.

إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ لَكُمْ..﴾ وهنا قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ أَبْنَآءِ..﴾ [الأحزاب: ٥٥] فلما كانت الآية قبلها ترشد إلى مخاطبة المرأة من وراء حجاب وهي عامة شاملة للمحارم وغيرهم، استثنى -سبحانه وتعالى- المحارم، وأنه لا جناح على المرأة في الظهور عليهم وعدم الاحتجاب عنهم، وهم: الآباء، والأبناء، والإخوة، وأبناؤهم، وأبناء الأخوات، وملك اليمين، والنساء. ولم يذكر -سبحانه وتعالى- العم والخال في هذه الآية، لأنهن إذا لم يحتجبن عن أبناء الإخوة وأبناء الأخوات ـ أي: وهن عمات أو خالات لهم ـ مع رفعتهن عليهم؛ فعدم احتجابهن عن أعمامهن وأخوالهن من باب أولى، وقد صرحت آية النساء بأن العم والخال من المحارم كما قال تعالى: ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾. هذا وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح عن داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ

أَبۡنَآئِهِنَّ أَبۡنَآءِ ..﴾ الآية، قلت: ما شأن العم والخال لم يُذكرا؟ قال: لأنهما يَنعُتانِهما لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها[1].

٥. وذكر -سبحانه وتعالى- الحجاب الشرعي للمرأة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فالاحتجاب أيتها المسلمة حاجب وحاسم لمطامع الطامعين، ودافعٌ عنك أذى المؤذين، علاوة على أنه عفةٌ وطهارة، وطاعةٌ لله ورسوله؛ فلا يجوز لك أيتها المسلمة أن تخرجي إلا بحجاب ساتر لبدنك كله فوق خمار الرأس، ولا يظهر منك شيء إلا الوجه والكفان(*)، وهو قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير/ الأحزاب: ٥٥.

(*) تنبيه: المرأة إذا زينت وجهها وكفيها وجب عليه سترهما حينئذ، وليس من ذلك الكحل والخضاب.

زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾. مع هذه الآية من سورة الأحزاب: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ فلا بد من خمار الرأس وفوقه الجلباب ـ الذي هو العباءة ـ: الخمار مستفاد من آية النور، والجلباب مستفاد من آية الأحزاب.

قال **الشيخ الألباني**: «واعلم أن هذا الجمع بين الخمار والجلباب من المرأة إذا خرجت قد أخل به جماهير النساء المسلمات، فإن الواقع منهن إما الجلباب وحده على رؤوسهن أو الخمار، وقد يكون غير سابغ في بعضهن كالذي يسمى اليوم بـ (الإيشارب) بحيث ينكشف منهن بعض ما حرّم الله عليهن أن يُظهرن من زينتهن الباطنة،كشعر الناصية أو الرقبة مثلًا»[1].

هذا وللباس المرأة المسلمة شروط إذا خرجت وهي ثمانية ذكرها الشيخ الألباني في كتابه «الجلباب»، وسيأتي ذكرها إن شاء الله في الكتاب الثاني.

---

(١) الجلباب (ص٨٥)، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م. دار ابن حزم.

• وفي سورة ص والرحمن

وصف سبحانه نساء الجنة أنهن يقصرن الطرف على أزواجهن؛ وهذا من أحسن ما تتزين به المرأة؛ لأنه دال على شرفها وحيائها،وثانيًا: دالٌ على رضاها بقسمة الله تبارك وتعالى لها من الزوج.

• وفي سورة الشورى

الرضا بقسمة الله تعالى في الأولاد: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

فهو -سبحانه وتعالى- المالك، المتصرف، العليم باختياره، القدير عليه، فما عليكِ إلا الإيمان بذلك، وأن تقولي: «اللهم اقْدُر لي الخير حيث كان ثم رضّني به». وتأملي كيف قدَّم الله سبحانه في هذه الآية الإناث - وذلك أن الناس يشاءون ويريدون الذكور، ومشيئة الله تعالى ليست تابعة لمشيئة الخلق، فلذلك قدّم ما لا يشاؤونه، حتى يُعلم أن مشيئة الله

تعالى ليست تابعة لمشيئتهم، بل لا مشيئة لهم إلا بعد مشيئته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

• وفي سورة الحجرات

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١] فنهى -سبحانه وتعالى- الرجال عن السخرية والاحتقار والاستهزاء، وعطف بنهي النساء عن ذلك، وقد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له - وهو الغالب الواقع- فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متخلٍّ من كل خلق كريم، ولهذا قال النبي ﷺ: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»[(١)] وقال ﷺ: «**الكبر بَطَر الحق وغَمْط الناس**»[(٢)] - أي: احتقارهم.

وتخصيص النساء بالذكر هنا؛ لأنه ـ والله أعلم ـ يكثر هذا في النساء فتحتقر المرأة المرأة، وتتعالى عليها، وترى نفسها أجمل منها.

---

(١) مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم (٩١) عن عبد الله بن مسعود. وعند الترمذي: «**غَمْص الناس**».

• وفي سورة هود والذاريات

ذكر الله سارة زوج إبراهيم وأم إسحاق -عليهم السلام- فلما جاءت الملائكة لإهلاك قوم لوط مروا على إبراهيم عليه السلام يبشرونه بذلك، فضحكت سارة استبشارًا بذلك لكثرة فسادهم وغِلَظِ كُفرهم وعند ذلك ـ وجزاءً لها ـ بشّرتها الملائكة بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب فبشرتها بابن وابنه؛ فتعجبت لذلك حتى صرخت صرخة عظيمة وضربت جبينها بيدها -كما جرت به عادة النساء عند التعجب- وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات:٢٩] وإنما فعلت ذلك لأنها عجوز عقيم، فكيف تلد! فعلّمتها الملائكة أن ذلك ليس على الله بعزيز، وأنه إذا أمر لشيء كان. كما قال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [هود:٧٣] ثم قالت الملائكة -معلنة عن فضل هذا البيت الشريف- ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أي: أن هذا من رحمة الله بكم وبركاته عليكم؛ فاحمدوه ومجدوه على جميع أسمائه وصفاته وأفعاله، إنه هو العليم الحكيم، الذي يعلم مواقع فضله، وهو الحكيم في كل فعله.

• وفي سورة الواقعة

ذكر -سبحانه وتعالى- أن من أوصاف نساء الجنة أنهن عُرُب كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ أي: أعدْناهن في النشأة الآخرة بعدما كُن عجائز رُمصاً(*)، صِرن أبكارًا عُربا أي: متحببات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة. وهذا من أهم ما تتحلى به المرأة: أن تتحبب إلى زوجها بحسن كلامها وجمال تصرفها حتى تستقيم الحياة الزوجية؛ فإن المرأة عليها دور كبير في إشاعة جو السعادة في البيت.

(*) الرَّمص: وسخ أبيض يتجمع في جنبتي العين.

• وفي سورة المجادلة

سمع الله قول التي تجادل النبي ﷺ في زوجها بعدما ظاهر منها بعد طول صحبة، وتشتكي إلى الله؛ فأجاب الله شكواها، وجعل لها مخرجًا بأن نزل حُكم الظِّهار، وأن من فعل ذلك كفَّر، ثم يعود إلى امرأته، فكان ذلك فرجًا عليها وعلى زوجها.

• وفي سورة الممتحنة

فرّق -سبحانه وتعالى- بين الرجال والنساء إذا آمنوا وآمَنّ فيما يتعلق بالوفاء بشروط صلح الحديبية. ومنها: أن من جاء مؤمنًا من الكفار رُدّ إليهم؛ فأمر سبحانه المؤمنين إذا علموا إيمان المرأة وصدقها فإنها لا تُرد إلى الكفار؛ لأن رَدَّها إليهم فيه مفاسد كثيرة حيث يفتنونها عن دينها، وهذا من مراعاة الإسلام لحال المرأة.

• وفي سورة التغابن

ذكر -سبحانه وتعالى- فتنة الرجل بأهله وأولاده، فالمرأة الصالحة هي التي لا تكون فتنة لزوجها ؛ بأن تطلب منه مطالب تؤثِّر على طاعته لله ورسوله، فيترك طاعة الله والرسول في بعض الأمور لأجل الزوجة والأولاد؛ حتى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾،
والنفس مجبولة على حب الزوجة والأولاد، فنصح -سبحانه وتعالى- عباده أن لا توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد التي فيها محذور شرعي، ولكن هذا لا يعني الغلظة والقسوة من الزوج. ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

• وفي سورة الطلاق

١. أمر سبحانه وتعالى- إذا طُلِّقت المرأة ـ أن تُطلّق لعدتها بأن لا تُطلّق وهي حائض أو في طهر مسّها فيه ولم يتبين حملها؛ والسبب في ذلك أنه حينئذ لا تُعرف عدتها وتطول عليها عدتها،وفي هذا مراعاة لها.

٢. وأمر سبحانه وتعالى أيضًا بإحصاء العدة ؛ لما يترتب على ذلك من حقوق وأحكام.

٣. وذكر سبحانه وتعالى أن هذه حدود الله، فالواجب التزامها وعدم تعدِّيها.

٤. وأيضًا لا يجوز إخراج المطلقة الرجعية من المنزل في عدة الطلاق، ولا يجوز لها أن تخرج هي؛ لأنها لا زالت زوجة؛ لأن الطلاق الرجعي حل بعض عقدة النكاح لا كلها بخلاف الطلاق البائن؛ فإنه حل كلي لعقدة النكاح؛ ولذا كان للرجعية النفقة والسكنى؛ بخلاف البائن فلا نفقة لها ولا سكنى.

٥. والواجب التزام أحكام الله؛ لأنها كلها مصالح. ولذا قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ فلعل الزوج - إذا كانت مطلقته في البيت - لعله يراجع، ويندم، ويخلق الله في قلبه رجعتها. فالعدة مهلة للزوج ليراجع نفسه، فإذا راجعها فلتكن المراجعة والإمساك بالمعروف والإحسان لا الإضرار، وإذا تركها حتى تنتهي عدتها بانت منه وفارقته، فحينئذ يؤدي لها حقها بالمعروف بلا مشاتمة ولا تخاصم ولا قهر، ويُشهِد على ذلك شاهدي عدل.

٦. ثم ذكر سبحانه أن أحكامه هذه موعظة ينتفع بها المؤمن الذي ينقاد لأحكام الله ويلتزم حدود الله.

٧. ثم ذكر -سبحانه وتعالى- أن من اتقى الله عمومًا وفي الطلاق خصوصًا بإيقاعه على الوجه الشرعي دون حيف وظلم؛ فإن الله تعالى يجعل له مخرجًا ويرزقه كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾.[النساء:١٣٠].

٨. ثم ذكر -سبحانه وتعالى- أحوال المرأة في العدة: فذوات الحيض: عدتها ثلاثة قروء، تنتهي باغتسالها من الحيضة الثالثة، وذوات الأحمال: تنتهي عدتها بوضع الحمل،

والصغيرة التي لم تَحِض والآيسة الكبيرة عدتهما ثلاثة أشهر.

٩. ثم ذكر -سبحانه وتعالى- سكنى المطلقة الرجعية وأن الزوج يُسكنها في البيت ـ بمعنى أن يجعل لها مكانًا في بيته بحسب وسعه، فمن قدر أن يجعل لها غرفة مستقلة فعل، ومن قدر أن يجعل لها شقة كاملة في البيت فعل وهكذا، ويحرم التضييق عليها ومضارتها حتى تخرج من البيت، فيكون الزوج هو سبب إخراجها. ثم إن كانت المطلقة الرجعية ذات حمل فلها النفقة لها ولحملها، وإن كانت بائنًا فلها النفقة لأجل حملها، ولما كانت هذه الحالة مما قد يوجب النزاع والخلاف فالواجب على كل من الزوجين أن يأمر الآخر بالمعروف، وأيضًا إذا تنازعا فيمن يرضع الولد فلترضع له أخرى إذا قَبل الولد ثديها، فإذا لم يقبل تعينت الرضاعة على أمه بالأجر. ثم قدَّر -سبحانه وتعالى- النفقة بحسب حال الزوج، فمن كان واسع الحال أنفق من سعته،ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله.

١٠. والملاحظ في هذه السورة ـ التي سميت سورة الطلاق ـ أن الله -سبحانه وتعالى- رغَّب فيها في التقوى ترغيبًا كثيرًا، وحذَّر من تركها، وذلك لمناسبة التقوى للطلاق الذي يتسرع فيه غالب الأزواج، ويجورون، ويظلمون، وكذلك الزوجات. فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ فالإخراج والخروج لا يفعله إلا من لم يتق الله في ذلك. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾.

١١. ثم حذَّر -سبحانه وتعالى- من ترك تقواه عمومًا، وفي الطلاق خصوصًا، بأنه كم من قرية تكبرت عن أوامر الله وطاعة رسله الذين يبلغونهم هذه الأوامر، فماذا كان عاقبتها؟ العذاب في الدنيا والآخرة. فالمخرج إذن تقوى الله تعالى، ومَن فَعَل التقوى كان من أولى الألباب، الذين يجتنبون الخسار بطاعة الواحد القهار. فما أدل هذه السورة على قدرة الله وعلمه، فالخلق دال على قدرته، والأمر دال على علمه، فهذه الأحكام التي شرعها الله تعالى دالة على

علمه سبحانه بما يصلح النفوس وينفعها، فلذلك شرع ما شرع، ولكن أكثر المسلمين لا يعلمون فانخدعوا خداعًا عظيمًا بما عليه أعداء الله فيما يتعلق بالطلاق وغيره. والمسلم العاقل ـ الذي يريد الانتفاع بعمره كله في طاعة الله- ليس بحاجة إلى أن يعرف تفصيل ما عليه الأمم الكافرة، وإنما يكفيه أن يعلم أن الكفر بمنزلة القلب المريض ـ بل الميت ـ فهل ينتج عنه خير؟!! فثقي يا أخت الإسلام في الله وأحكامه، واعلمي أنك في أمان وضمان إذا كنت في طاعة الله، وإلا فالخسار، والدمار، والحسرة، والعار. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣١].

• وفي سورة التحريم

١. ذكر -سبحانه وتعالى- أوصافًا للنساء الخيّرات: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ والأوصاف الثلاثة الأولى تقدمت في سورة الأحزاب. وذكر -سبحانه وتعالى- هنا أوصاف التوبة، والعبادة، والسياحة، فلا غنى للمسلمة عن التوبة علاوة على العبادة والقنوت؛ فإن العبادة والقنوت قيام بما يحبه الله، والتوبة عما يكرهه الله، ومن عرف حقيقة الإنسان وما جُبل عليه من الجهل والظلم؛ علم أنه لا غنى له عن التوبة طرفة عين. وأما وصف السياحة فلها معنيان: الهجرة إلى الله تعالى،والصوم، فالمعنى الأول: عام، والثاني: خاص. وهذه الأوصاف ونحوها هي سبيل الوقاية من النار. كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.

٢. وفي هذه السورة أيضًا ذكر -سبحانه وتعالى- مثلين: مثلًا للذين كفروا: امرأة نوح، وامرأة لوط، ومثلًا للذين آمنوا امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران. والغرض منهما بيان أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيده شيئًا، وأن اتصال

المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا مع قيامه بالواجب عليه، فكأن في ذلك إشارة وتحذيرًا لزوجات النبي ﷺ عن المعصية، وأن اتصالهم به ﷺ لا ينفعهن شيئًا مع الإساءة، وكذلك بقية النساء. فقطعت الآية طمع من ركب المعصية وخالف أمره ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو أجنبي، ولو كان بينهما في الدنيا أشد الاتصال؛ فلا اتصال فوق اتصال البنوة، والأبوة، والزوجية. ومع ذلك فلم يغن نوح عن ابنه، ولا إبراهيم عن أبيه، ولا نوح ولا لوط عن امرأتيهما من الله شيئًا كما قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الممتحنة: ٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الانفطار: ١٩].

وقد ذكر ابن القيم: أن الله سبحانه ذكر في هذه السورة ثلاثة أصناف من النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح، فهذه لا تنفعها وصلتها وسببها. والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، فهذه لا تضرها وصلتها وسببها، والمرأة العزب التي لا وصلة لها بينها وبين أحد، فهذه لا يضرها عدم الوصلة شيء.

• وفي سورة المسد

ذكر سبحانه مثلًا للمرأة الكافرة الهالكة التي كانت تعاون زوجها الكافر على الكفر؛ فتكون عليه عونًا في عذابه في جهنم يوم القيامة، فتحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه. فلا تعاوني زوجك على معصية الله فتشتركي معه في الإثم والعذاب.

• وفي سورة العلق

ذكر -سبحانه وتعالى- ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ وهن: السواحر إذا رقين ونَفَثْن في العُقد، يعقدن الخيوط، وينفثن في عُقَده؛ حتى ينعقد ما يُردن من السحر.

والنفث: هو النفخ من ريق وهو دون التفل. والنفث: فعل الساحر، فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة؛ نفخ في تلك العُقد نفخًا معه ريق، فيخرج من نَفْسه الخبيثة نَفَسٌ ممازج للشر والأذى، مقترن بالريق الممازج لذلك، وقد تَسَاعد هو والروح

الشيطانية على أذى المسحور؛ فيقع السحر بإذن الله الكوني القدري، لا الأمري الشرعي. فإن قيل: فالسحر من الذكور والإناث، فلِم خص بالاستعاذة من الإناث دون الذكور؟ قال ابن القيم: «النفاثات هنا: الأرواح، والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات».

قلت: وهو في النساء أعظم،كما قال **البقاعي** في «**نظم الدرر**»: «وكان ما هو منه من النساء أعظم؛ لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين، ورداءة الطبع وضعف اليقين، وسرعة الاستحالة، وهن أعرف في كلٍ مِن هذه الصفات وأرسخ».

فالحاصل أن النفث في العقد للسحر يقع من النفوس الخبيثة من الرجال والنساء بمعاونة الأرواح الخبيثة، ولكنه من النساء أبلغ. ألا فتحصني أيتها المسلمة من شر السحر بمثل هذه السورة العظيمة التي هي- وسورة الناس - ما تعوّذ

متعوّذٌ بمثلهما، كيف لا، والاستعاذة فيهما برب الفلق(*) ورب الناس، وملك الناس، وإله الناس -سبحانه وتعالى.

أرأيت أيتها المسلمة كيف العناية بك في كتاب ربك سبحانه وتعالى!! إن هذه النظرة الكلية في كتاب الله تعالى من أوله إلى آخره؛ ليوقفك على مدى العناية بك من ربك، وكيف أنه -سبحانه وتعالى- وعظك، وبيّن لكِ حكمه في كل ما تأتين وتذرين، فاللهَ اللهَ يا فتاة الإسلام ويا مدرسة الأبطال: في نفسك فألزميها بأمر الله وجنّبيها معصية الله، قومي بما عليك تجاه زوجك وأولادك، فإن وراء كل مُوَفّق سببًا، وأنت من أعظم الأسباب التي تُبنى بها الغايات الشريفة والمقاصد النبيلة.

اللهَ، اللهَ يا أخت التقوى والطهارة، لا تتشبهي بالكافرات الفاسقات، ولا تنخدعي بدعوات المنافقين والمنافقات، الذين

(*) أبدى ابن القيم -رحمه الله- سرًا بديعًا في تخصيص الاستعاذة برب الفلق بما خلاصته: أن الفلق: هو الشق والفتح للإخراج؛ كإخراج النور عن الظلمة، والنبات عن الأرض، والمطر عن السحاب... وهكذا. فكل إخراج منه -سبحانه وتعالى-، ومن كان هذا شأنه فهو يخرج هذه الشرور: شرور الليل، والسحر، والحسد.

يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين والمؤمنات، لا تسمعي لهم ولا تنظري فيما يكتبونه في كتب ومجلات خليعة ونشرات وضيعة، ولا فيما يبثونه عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، والتي يوجهها ويقوم عليها أعداء الإسلام؛ فإنها - واللهِ - السم القاتل والداء العُضال.

وكتب أبو عبد الرحمن

سعد بن السيد الشال

في المحرم سنة ١٤٣٠هـ.

بدبي



الفهرس

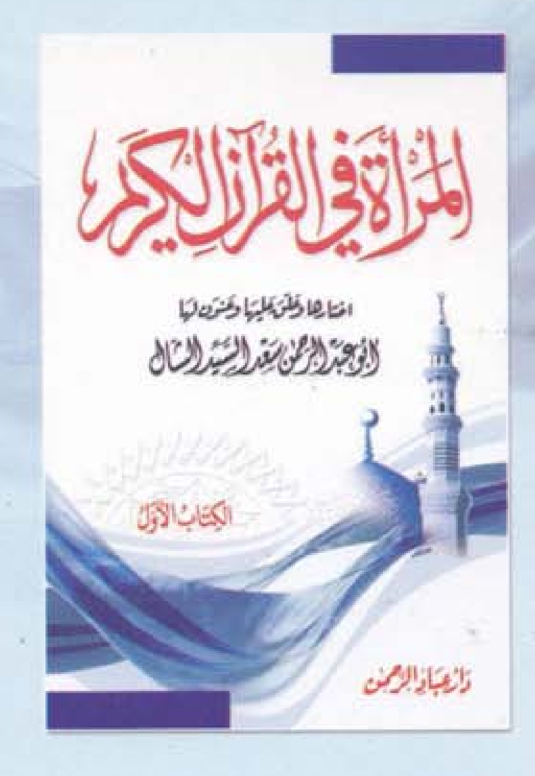
الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
نساء سيدات فاضلات	١٨
تأملات في آيات القرآن الخاصة بالنساء	٢٢
في سورة البقرة	٢٣
وفي سورة آل عمران	٢٩
وفي سورة النساء	٣٢
وفي سورة المائدة	٤٠
وفي سورة الأعراف	٤١
وفي سورة براء ة	٤٥
وفي سورة يوسف	٤٧
وفي سورة الرعد	٥٠
وفي سورة الحجر	٥٠
وفي سورة النحل والزخرف	٥١
وفي سورة مريم	٥٤

الموضوع	الصفحة
وأما سورة النور	٥٥
وفي سورة الفرقان	٥٩
وفي سورة النمل	٦٠
وفي سورة القصص	٦١
وفي سورة الأحزاب (الآيات: ٢٨-٣٥)...	٦٨
وفي سورة ص والرحمن	٧٧
وفي سورة الشورى	٧٧
وفي سورة الحجرات	٧٨
وفي سورة هود والذاريات	٧٩
وفي سورة الواقعة	٨٠
وفي سورة المجادلة	٨١
وفي سورة الممتحنة	٨١
وفي سورة التغابن	٨٢
وفي سورة الطلاق	٨٣
وفي سورة التحريم	٨٨

الموضوع	الصفحة
وفي سورة المسد	٩٠
وفي سورة العلق	٩٠
فهرس الموضوعات	٩٤


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





الوكيل الوحيد - بالإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار البشير - الشارقة
ت : ٠٦٥٦٣٢٩٨٠ موبايل ٠٥٠٩٥١١٨٤٤